

المنهج الظاهراتي وتطبيقاته في الدراسات السوسولوجية

The phenomenological method and its applications in sociological studie

حنان بونيف¹، هجير ةبوساق²

جامعة محمد بوضياف المسيلة، hanane.bounif@univ-msila.dz¹

جامعة محمد بوضياف المسيلة، hadjira.boussag@univ-msila.dz²

تاريخ الاستلام: 2023/05/29 تاريخ القبول: 2023/08/16 تاريخ النشر: 2023/10/06

ملخص: يهدف هذا المقال إلى التعريف بالمنهج الظاهراتي ومجمل مبادئه وأهم تطبيقاته في الدراسات السوسولوجية. والذي يمثل أحد المناهج الكيفية التي يمكن للباحثين في مجال علم الاجتماع الاستفادة منها في إعداد الدراسات والبحوث العلمية، وتطوير البحوث السوسولوجية بشكل عام والسوسيوترابية بشكل خاص، من خلال تقديم للظاهراتية عند الرواد بدءا من مؤسسها "إدموند هوسرل" والتعريف بالمنهج الظاهراتي وأهم مبادئه، اختيار العينات واختيار المشاركين، كذلك أدوات جمع البيانات وطرق تخزينها وكذلك عرض وتحديد معانيها، مع عرض موجز لمجمل الفروقات بين المنهج الظاهراتي وغيره من المناهج الكيفية الأخرى.

من بين النتائج المتوصل إليها: أهمية المنهج الظاهراتي بشكل خاص والمناهج الكيفية بشكل عام، ضرورة فهم الباحثين في علم اجتماع لهذا المنهج وتطبيقه من أجل الزيادة في الكفاءة والوصول إلى المعاني الجوهرية عن المواضيع المدروسة.

الكلمات المفتاحية: المنهج، الظاهراتية، المنهج الظاهراتي، الدراسات، السوسولوجيا.

Abstract: This article aims to introduce the phenomenological approach, its principles, and its most important applications in sociological studies. It is considered as one of the most approaches that researchers can use it in their studies through introducing phenomenology its pioneers, starting with its

founder, Edmund Husserl, and defining the phenomenological approach and its most important principles, Selection of samples and selection of participants

as well data collection tools and it's methods of storing, as well as presenting and defining their meanings, with a brief presentation of the overall differences between the phenomenological approach and other qualitative approaches.

Among the results reached: the importance of the phenomenological approach in particular and the qualitative approaches in general, the need for researchers in sociology to understand and apply this approach in order to increase the efficiency and reach the essential meanings of the topics studied. Keywords: approach, phenomenology, phenomenological approach, the studies, sociology.

*المؤلف المرسل: حنان بونيف

1. مقدمة

تعتبر الانتقادات الموجهة للمناهج الكمية على أنها عاجزة عن تقديم وصف متعمق للظواهر المدروسة هي أحد الأسباب الدافعة للباحثين للتوجه إلى المناهج الكيفية التي تبتعد عن الأرقام والإحصاءات والتكرارات وتوجه إلى التحليل والتفسير ويطلق عليها أيضا مصطلح النوعية. "ويدل مصطلح كفي ضمنا على التركيز على المعاني والعمليات التي لا يتم بحثها من خلال التجارب أو يتم قياسها بالأرقام أو الكميات أو التكرارات". (غانم، 2016، صفحة 180)، فيقوم الباحث في هذا النوع من المناهج بالبحث عن المعاني الجوهرية.

"ويقوم البحث الكيفي على معرفة تفسيرية حيث ينظر إلى الحقيقة الاجتماعية والإنسانية باعتبارها مجموعة من المعاني يكونها الأفراد الذين يشاركون في هذه الحقيقة". (غانم، 2016، صفحة 180)، ولأن تحقيق جودة البحث السوسيولوجي تأتي في الطليعة فإن التوجه إلى البحوث الكيفية سبيل لذلك، ومن

المنهج الظاهراتي وتطبيقاته في الدراسات السوسولوجية

ضمن مناهج البحث الكيفي المنهج الظاهراتي الذي يعتبر موضوع هذه الورقة البحثية، وفي مجمل الدراسات السوسولوجية على المستوى الوطني فالبحوث عامة تعتمد على مناهج البحث الكمي التي وبالرغم من أهميتها واستخدامها للأساليب الإحصائية إلا أنها لا تعطي الحقيقة والمعاني المتعمقة لتقيدها في كثير من الأحيان، مما استوجب معه الالتفات إلى المناهج الكيفية لتأخذ هي الأخرى أهميتها على صعيد الدراسات الأكاديمية .

من خلال ما سبق طرحه يمكن صياغة الأسئلة التالية للإجابة عليها:

ما المقصود بالظاهراتية وما هي أهم قضاياها وافتراضاتها ومفاهيمها؟

ما المقصود بالمنهج الظاهراتي وما هي أهم إجراءاته المنهجية؟

وقد تم استخدام البحث المكتبي والوثائقي الذي يهدف إلى تقييم الحقائق المتعلقة بموضوع معين ومقارنتها وتفسيرها للوصول إلى تعميمات مقبولة.(برو، 2014، صفحة 50)من خلال تجميع البيانات والحقائق حول المنهج الظاهراتي وذلك في جملة المراجع المتاحة لدينا، التي من خلالها تم الإجابة عن التساؤلات المطروحة.

2- أهداف الدراسة: أهم ما تهدف إليه هذه الورقة البحثية التعريف بالمنهج الظاهراتي وتطبيقاته في البحوث السوسولوجية بما يشتمل عليه من إجراءات وخطوات منهجية، أيضا إزالة التخوف من استخدام المنهج الظاهراتي، والاستفادة منه في الدراسة التعمقية لمختلف الموضوعات للوصول إلى جوهر المعاني الموجودة لدى المشاركين من خلال خبرتهم، والابتعاد عن الإجابات المبدئية التي يضعها الباحث المتمثلة في الفرضيات.

3- أهمية الدراسة: يأخذ البحث في هذا الموضوع أهمية بالغة وذلك على مستويين: نظري وتطبيقي، فأما النظري فيهدف إلى التعريف بالمنهج الظاهراتي كواحد من ضمن المناهج المستخدمة في البحوث الكيفية وعرض أهم إجراءاته

وخطواته خصوصا في ضوء الاتجاهات المنادية باستخدام المناهج الكيفية في البحوث السوسولوجية للوصول إلى المعاني المتعمقة للظواهر السوسولوجية المختلفة والبعد عن المعالجات السطحية، أما المستوى التطبيقي فيتجسد في الرؤية التوضيحية لهذا المنهج لنقص الدراسات العربية والجزائرية المطبقة له من أجل تمكين الأساتذة والطلبة من تطبيقه في البحوث السوسولوجية من خلال تقديم البيانات حوله.

4- تقديم الظاهرية

4-1- الظاهرية: تعد الظاهرية طريقة لوصف الأشياء الموجودة فعلا كجزء من العالم الذي نعيش فيه، والظاهرة قد تكون أحداثا أو مواقف أو تجارب أو مفاهيم.

وتعني الظاهرية الوصول إلى الحقيقة الموضوعية من خلال الواقع حيث يصبح ما يعتقد الفرد واقعا، فهي دراسة الأشكال المختلفة للوعي وتنوعاته والطرق التي يعي بها الناس العام الذي يعيشونه.(حامد، 2012، صفحة 127)

وفي هذا رأى هوسرل أن العالم الاجتماعي ليس مفروضا على وعي الإنسان وإنما الوعي الذي يقوم بصياغته ويتفاعل معه وفق الصياغة التي يعطيها له، وتعبير آخر فالعالم الاجتماعي المحيط بالفرد ينشأ بواسطة العمليات الذاتية للعقل البشري وفق طرق جديدة معقدة يقوم بها ويتفاعل مع هذا العالم المنشأ ما يفضي إلى وعي متحرر من أي تأثير للبيئة الطبيعية عليه وإدراك الأشياء على حقيقتها. (مصباح، 2010، صفحة 324)

وفي اعتقاد "هوسرل" فالحقيقة والواقع أمور مقصودة أو معتمدة فالذات الإنسانية هي التي توجه وعيها وشعورها نحو الأشياء والموضوعات، وأن الخبرة دائما ما تحمل الطابع العمدي المقصود، كما طرح هوسرل فكرة "الاختزال الفينومينولوجي" الذي من خلاله يتخلى الوعي والشعور عن كل الأفكار المرتبطة

المنهج الظاهراتي وتطبيقاته في الدراسات السوسولوجية

بالعالم الخارجي وما يحتويه من أشياء وموضوعات ليصبح وعيا خالصا ويضع الباحث المجتمع والثقافة والتاريخ جانبا، وبتعبير رياضي بين قوسين لتصبح المعرفة نتاجا لـ"قصدية" الوعي الخالص ويعبر عن هذا الإجراء "تعليق الحكم" أي إلغاء الاعتقاد بموضوعات الخبرة بحيث يبقى في النهاية الذات المتسامية ((سوينجود، 1996، صفحة 337، 338)

ووضع الوجود الاجتماعي بين قوسين يوقظ الباحث من سباته الدوغمائي، ويفجر قناعاته ومعتقداته التقليدية، ويعيد توجيه رؤيته للعالم الاجتماعي، وهكذا يصل تفكير الباحث إلى العملية المنهجية الثانية: اختزال الفكرة أو الصورة التي تهدف إلى بلوغ الجوهر المنطقي للظواهر الاجتماعية، أي مجموع الشرط القصديّة لإمكانية وقوع الظواهر أو الشيء الاجتماعي في ذاته.(هارمان، 2010، صفحة 70)

كما اعتقد "شوتز" أن عالم الحياة هو فيض مستمر من الفعل والخبرة بحيث لا يفكر الفاعل في هذه العملية إلا نادرا، وأن العالم جمع من الفاعلين بينهم تفاعل مستمر ويؤثر وجودهم على تطور ذواتهم، لذلك فالواقع الاجتماعي حاصل جمع كل الأشياء ومجريات الأمور التي تحدث داخل العالم الاجتماعي، على كل فرد فيه أن يحس وأن يعطي لأفعال الآخرين معنى ما بأن يتعلم تفسير ماذا يكون عليه الفعل وماذا يدور حوله، وهذا لا يتأتى إلا بتوفر قسط من المعرفة والفهم المتداول والمشارك بين الجميع وقدر من تكوينات هادفة ذات مغزى كالنماذج المثالية أو التنميطات ويركز مخزون المعرفة أو الفهم على الخبرة. (سوينجود، 1996، صفحة 339)

وبتعبير شوتز: «إن عالمنا اليوم، ومنذ البداية، عالم ثقافة بين الذوات: هو عالم بين ذوات لأننا نعيش فيه كأفراد مع آخرين، نرتبط معهم عن طريق عمل وتأثير مشترك، نفهم الآخرين ونكون موضوعا لفهم الآخرين، وهو عالم ثقافة لأنه منذ البداية عالم لمعانينا، أو إطار للمعنى الذي يجب أن نفسره، وإطار للعلاقات

المتبادلة بين المعاني التي نكوها فقط من خلال أفعالنا في هذا العالم، وهو أيضا عالم ثقافة لأننا نكون دائما واعين بتاريخه التي نواجه بها في مجريات التقليد وعادات الأمور... واللغة ليست هيكل من اعتبارات فلسفية أو نحوية بالنسبة لي، بل هي وسائل للتعبير عن مقاصدي وفهمي لمقاصد الآخرين، كما أن علاقتي بالآخرين لا تكتسب مالها من معنى إلا بالرجوع إليّ ولذلك يشار إلى هذه العلاقة بالمصطلح "نحن"». (سوينجوود، 1996، صفحة 340، 341)

كما أكد "شوتز" على موضوع البناء الاجتماعي وتقييم العمل وتباين الأدوار في الحياة اليومية، وأن البناء سابق في وجوده على الفرد، كما حدد عوامل اجتماعية متميزة. (البياتي، 2002، صفحة 214، 215)

- عالم الخبرة المباشرة: وهي مستخلصة من الواقع الحي من خلال الاتصال وجها لوجه فيكون الاشتراك في المشاعر والأحاسيس والأفكار وتظهر هنا ما تم تناوله في النقطة السابقة علاقة (النحن).

- عالم الخبرة غير المباشرة: المستخلصة من الواقع البعيد زمنيا أو عبر وسائط بشرية أو غير بشرية وهنا يقل تدخل المتفاعلين في المشاعر والأحاسيس.

- عالم الإرث المخلوف: مستخلص من الزمن البعيد، وهو خصوصية تراثية لأنها من باقي الحالات الماضية الناقصة في معرفتها الجزئية، ولا يمكن قياسها بمقاييس الحاضر.

وفي الأخير رأى شوتز أن الواقع الاجتماعي يتغير ويتعدل من خلال أفعال الأفراد وأن هذه الأخيرة تخضع هي الأخرى لتأثير الواقع الاجتماعي.

ولقد تم إحياء الاتجاه الظاهراتي في الستينيات من القرن الماضي وتطويره دون إعطائه مسمى جديدا، ومن ضمن ما قام بهذا التطوير "بيتر بيرجر Peter Berger" و "توماس لكمان ThoomasLukmann" منطلقين من أفكار "شوتز" عن الذاتية الداخلية التي تكتسب طابعا عاما من خلال اللغة.

المنهج الظاهراتي وتطبيقاته في الدراسات السوسولوجية

فإذا يتكون من معطيات خارجية فتصور الأفراد لهذه المعطيات يكسبها معان معينة، فالمجتمع يتكون من تفاعل بين الخبرات المكتسبة من الخارج والخبرات الموجودة في وعي الأفراد، فينعكس الواقع في وعي الأفراد وذاتيتهم الداخلية ما يجعل مهمة علم الاجتماع المعرفي، هي تحليل التركيب الاجتماعي للواقع.(زايد، 1984، صفحة 399)

وتمثل تعريفات الواقع بالنسبة لـ"برجر ولكمان" نوعاً من المعرفة الاجتماعية المشتركة تساهم في خلق التكامل داخل المجتمع والتي تتضمن ثلاث عمليات.(زايد، 1984، صفحة 400)

أ-الشكل النظامي: ويظهر بمقتضاه أنماط روتينية أو معتادة من الأفعال يشترك فيها أنماط مختلفة من الفاعلين.

ب-الشرعية: بمعنى القدرة على تفسير وتبرير الأشكال النظامية من السلوك على مستوى المعنى من خلال المعرفة الاجتماعية بالواقع.

ج-الاستدماج: يتم من خلاله استدماج نظم المجتمع من خلال الأدوار التي يلعبها الفرد.

ومن ضمن ما قدم من انتقادات للظاهراتية أنها:(مصباح، 2010، صفحة 339)

- تدعوا إلى النفاذ إلى جوهر الظاهرة وفهمه إلا أن هذا لا يتأتى للباحث إلا إذا تقمص الظاهرة، وهذه الطريقة المنهجية قد تظهر معها الذاتية التي تؤثر على نتائج البحث.

- تنطلق في التحليل من الفرد لتصل إلى الجماعة وهذه طريقة لعلم النفس.

- توظيف مصطلحات علم النفس في التحليل الاجتماعي.

5- تقديم المنهج الظاهراتي:

1-5-المنهج: ترجع كلمة المنهج: إلى الأصل اليوناني تحت مصطلح Odos، ويعني: الطريقة التي تحتوي على مجموعة القواعد العملية الموصلة إلى القصد، كما أن

لكلمة المنهج: ترجمة للكلمة الإنجليزية "Method" وللکلمة الفرنسية "Méthode"،
وللكلمة ما يقابلها في مختلف اللغات. (زرواتي، 2007، صفحة 41)

2-5- المنهج الظاهراتي: تشير الدراسات أن الظاهراتية منهج في المحل الأول وهو
منهج يهتم بوصف الظاهرة، أي ما هو معطى مباشرة وموضوع الظاهراتية هو
الماهية، أي المضمون العقلي للظواهر (تيرنر، 2000، صفحة 40)

إن الظاهراتية قد طرحت نفسها كمنهج جديد يسعى إلى تأسيس العلاقات
بين الوعي والعالم، وفي إطار السوسولوجيا حاولت أن تستخدم الظاهرة بشكل
أكثر وضوحا، إذ حاولت الوقوف على طبيعتها وكيفية صياغتها من خلال الوعي،
وإعطاء قيمة لوجهة نظر المبحوثين وبذلك تكون الظاهراتية سعت للابتعاد عن
السطحية لكي تجعل منها منهجا تعمقيا، يهتم بدراسة ظواهر الوعي الإنساني.
(شحاتة، 2008، صفحة 214، 215)

وتأخذ الظاهراتية تعريف يستند إلى المنظور الكيفي أو النوعي في البحث
فعرف "باتون patton" البحوث الظاهراتية أنها: "تلك البحوث التي تركز على
استكشاف كيفية تشكيل البشر لمعنى الخبرات التي يمرون بها وتحويل الخبرة إلى
وعي سواء بشكل فردي أو كمعنى مشترك". (غانم، 2016، صفحة 189)

استراتيجية لتصميم البحوث العلمية تحاول تقديم معنى مشترك لـ "
الخبرات المعاشة" لعدد من الأفراد الذين يمرون بمفهوم أو ظاهرة معينة. (غانم،
2016، صفحة 189)

3-5 خطوات المنهج الظاهراتي: يمكن تلخيصها فيما يلي: (مصباح، 2010، صفحة
333)

أ- تحديد إشكالية البحث بحيث تتحدد أبعاد الظاهرة الاجتماعية المراد بحثها،
وفق الخطوات التالية:

- الاستدلال العلمي في بناء الإشكالية.

- تحديد علاقة الظاهرة التفاعلية مع الظواهر الأخرى.

- الصياغة النهائية لسؤال الدراسة.

ب- تحديد الأداة الأنسب لمعالجة الموضوع بحيث تؤدي إلى الوصول إلى جوهر الظاهرة محل الدراسة.

ت- تحليل المعلومات المتحصل عليها من الظاهرة المدروسة ومحاولة بناء تفسيرات موضوعية لها، من خلال استخلاص المعاني المرتبطة بالتجربة أو الظاهرة، وتوضيح البناء الوصفي للظاهرة.

ث- استخلاص النتائج وعرضها من خلال التركيز على المعنى الجوهرى للموضوعات المصنفة مسبقا، ومحاولة البحث عن مفهوم عام للظاهرة المدروسة من وجهة نظر ظاهراتية.

ويؤكد رواد الظاهراتية على أن الباحث الاجتماعى يجب أن يكون ملاحظا حياديا لتحقيق غايته في الوصول إلى فهم أكثر وهذه الخاصية قد توجد لدى الأفراد العاديين عندما يكونون ملاحظين لأفعال الآخرين دون وجود مصلحة مباشرة للتفاعل أو نتائجه.

ويتربط على ذلك أن الباحث حالة خاصة، للملاحظ الحيادي الذي يفترض أن لا تكون لديه مصلحة حيوية أو عملية في الحالة التي يلاحظها، بل لديه مصلحة معرفية ونظرية، ونظرا لمشاركة الباحث دوما في الحياة الاجتماعية قد يقلل هذا من الحيادية، لذلك رأى "شوتز" أن الباحث الاجتماعى لا يمكن أن يكون حياديا كليا وأن الحيادية هي مسألة اتجاه وموقف مثالي، يجب على الباحث محاولة الوصول إليه من خلال استخدام الإجراءات الظاهراتية، ووضع ظروف الحياة الخاصة بالباحث بين قوسين مع ما يرتبط بها من نظم مرجعية، وأن يكون حياديا بالمعنى الأكمل لهذه الكلمة من خلال القصدية والوعي الذاتى والمنهجية.

(ارفينج، 1989، صفحة 298، 299)

4-5- عينة الدراسة: تعتمد على أسلوب المعاينة الهادفة، عينة مقصودة وليست عشوائية، تحقق أغراض الدراسة.

العينة الغرضية وفيها يقوم الباحث باختيار هذه العينة اختياراً حراً، على أساس أنها تحقق أغراض الدراسة التي يقوم بها. (ابوالسميد، 2002، صفحة 58)

5-5- حجم العينة: بالنسبة للدراسات النوعية لا توجد قواعد صارمة لتحديد عدد المبحوثين فالدراسات النوعية يمكن إجراؤها بشخص واحد أو قد يصل العدد إلى 60 أو 70 مشاركاً يمثلون سياقات متعددة، إلا أن الدراسات النوعية التي تشمل على أكثر من 20 نادرة، ومعظم الدراسات تشمل أقل من هذا العدد (بيتر، 2012، صفحة 220)

5-5-1- اختيار المشاركين (أفراد العينة): يعتمد اختيار المشاركين في الدراسات الفينومينولوجية على أسلوب المعاينة الهادفة بما يتفق مع العينة القصدية، بما يحقق الأهداف الأساسية وبما يتيح الحصول على البيانات المطلوبة حول موضوع الدراسة.

وفي البحوث الفينومينولوجية يتم اختيار المشاركين القادرين على التعبير عن خبراتهم بحرية ودقة ورأى البعض أنه يجب استخدام لفظة مشارك واقتراح "تاكنونو Takno" مجموعة من المتطلبات أو العناصر عند اختيار المشاركين: (زيتون، 2006، صفحة 203، 204)

- أن يكون لدى المشارك خبرات مع الظاهرة قيد الدراسة
 - أن يكون لدى المشارك المقدرة على تقديم وصف شامل للخبرة قيد الدراسة.
 - الموافقة الطوعية من جانب المشاركين على تقديم خبراتهم.
- تم استخدام أسلوب اختيار العينة التوسعية الذي يعتبر طريقة هادفة لتوسع العينة من خلال سؤال المشارك أن يوصي آخرين بإجراء مقابلات معهم، ما يتيح الوصول لمشاركين أكثر (زيتون، 2006، صفحة 204)

المنهج الظاهراتي وتطبيقاته في الدراسات السوسيولوجية

5-6-الأدوات المنهجية: تعرف الأدوات المنهجية بأنها: "وسائل جمع البيانات حول الظواهر، والواقع أن استخدامنا لأسلوب منهجي معين يحدد نوع الأدوات التي يستعان بها في جمع البيانات حول الظاهرة، إضافة لذلك فإن نوع البيانات المراد تحصيلها، وطبيعة الدراسة، والعينة المدروسة، تسهم أيضا في تحديد الأداة المناسبة للدراسة". (الجولاني، 2009، صفحة 292)

تشير معظم الدراسة إلى المقابلة كأداة أساسية للمنهج الظاهراتي بنوعها: المقابلة المتعمقة، وجماعات المناقشة المركزة، إلا أنه يمكن للباحث أيضا استخدام أداة أخرى ممثلة في تحليل المحتوى.

5-7-أسلوب تحليل المحتوى: إن استخدام تقنية تحليل المحتوى يعود إلى "توماس وزنانكي" بجامعة شيكاغو بغرض التعرف على قيم واتجاهات الفلاحين البولونيين المهاجرين إلى أمريكا، حيث استخدموا هذه التقنية لتحليل وتصنيف كل الوثائق التي تتصل بحياة هؤلاء الفلاحين ونشاطهم، مثل الرسائل المتبادلة بينهم وبين أسرهم، والمقالات التي تناولت وضعهم في الجرائد والمجلات، وتقارير المصالح الاجتماعية حول حالات بعض المهاجرين والسير الذاتية التي قاموا بكتابتها. (أوزي، 1993، صفحة 7)

ويعتبر عام 1945 معلمة رئيسية ميزت تطور تحليل المحتوى، في هذا العام أصدر "لازويل H.D.Lasswell" كتابه "لغة السياسة" وهو من الذين ساهموا في وضع معالم هذه التقنية سنة 1952، توج مجال دراسة تحليل المحتوى بصدور كتاب برنارد برلسون B.Berleson "تحليل المضمون" في أبحاث الاتصال وهو أهم مرجع. (أوزي، 1993، صفحة 8)

ويقوم أسلوب تحليل المحتوى على الوصف المنظم والدقيق لمحتوى نصوص مكتوبة أو مسموعة من خلال تحديد موضوع الدراسة وهدفها وتعريف مجتمع الدراسة الذي سيتم الاختيار منه. (غنيم، 2000، صفحة 48)

ولهذا عرفه ستون P.J.Stone: بأنه: الأسلوب الذي يهدف إلى الحصول على الاستدلالات عن طريق التعرف على الخصائص المميزة لأي نص من النصوص بطريقة موضوعية ومنهجية. (أوزي، 1993، صفحة 11)

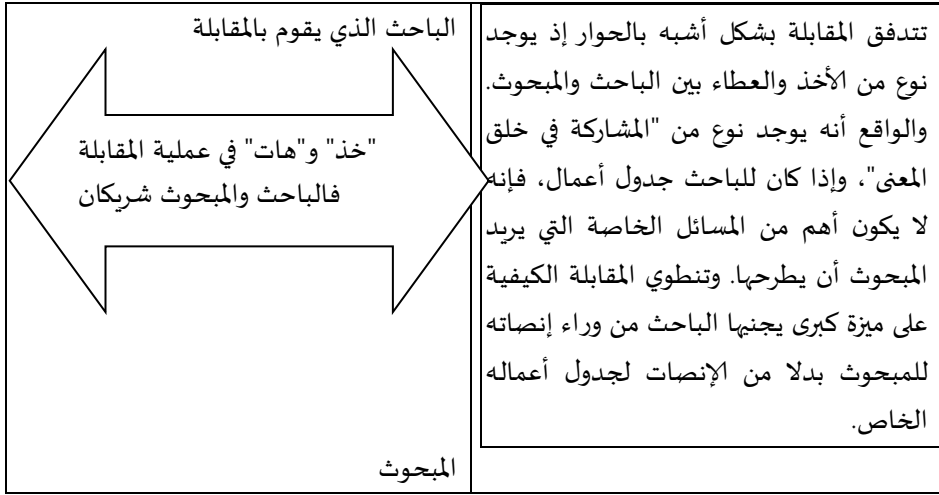
وبالنسبة لتحليل المحتوى يمكن استخدام التحليل الكمي مع الكيفي كما يمكن استخدام أسلوب التحليل الكيفي.

وفي هذا الأسلوب يقوم الباحث بتحليل المحتوى كيفيا ما دون ذكر الأرقام والإحصاءات وبالتالي عدم اللجوء إلى مؤشرات تكرارية لعدد مرات ورود الظاهرة أو السمة في المحتوى وهو بذلك يتخطى حدود رصد الواقع تكراريا. (عطية، 2011، صفحة 186)

8-5-المقابلة: تعتبر المقابلة، أداة رئيسية لجمع البيانات، وتمثل حوارا بين القائم بها وبين شخص أو مجموعة أشخاص بهدف الحصول على معلومات حول موضوع معين، ويطلق عليها التحقيق بواسطة المقابلة، لأنها عبارة عن أسئلة محضرة سلفا. والمقابلة ذات ميزة أساسية عن غيرها من الأدوات لأنها أكثر مرونة وتتيح للباحث التعمق. (حامد، 2012، صفحة 140)

8-5-1- المقابلة المتعمقة: تسمى أيضا المقابلة المكثفة وهي أكثر استخدام بين الباحثين الكيفيين في جمع البيانات وتتخذ من الأفراد كمنطلق للعملية البحثية، وأن لديهم معرفة متفردة ومهمة بالعالم الاجتماعي يمكن التحقق منها من خلال التواصل الشفاهي أي التحاور مع المشاركين، وتعتبر المقابلة المتعمقة نوعا خاصا من الحوار بين الباحث والمشارك تتطلب وجود التساؤل الفعال والإنصات الفعال وتمثل هذه العملية جهد للوصول إلى المعنى يتم بذله بالمشاركة مع الباحث والمبحوث بالتالي تمثل نوعا من الشراكة بينهما.(بيبرياتريشيا، 2011، صفحة 211)

شكل (01) نموذج عملية المقابلة الكيفية.



(بيبرياتريشيا، 2011، صفحة 233)

5-8-2 - المقابلة الجماعية المركزة: "تتم مقابلة عدد من المبحوثين معا، مما يجعل جماعة المناقشة المركزة متميزة عن طرق المقابلة التي تتم بين باحث ومبحوث واحد، خصوصا إذا كان الباحث على غير علم بمجمل القضايا المحيطة بموضوع بحثه فتساعده الجماعة على بلورة القضايا والأفكار والاهتمامات الرئيسية التي يستخرجها من الجماعة في وقت واحد، الشيء الذي يعطي له فهما أوسع لموضوع لا يعرف عنه إلا القليل، وظهرت جماعات المناقشة المركزة في الظهور في الأربعينيات من القرن العشرين، بتس Betts، وبارانوسكي Baranowski، وهور Hoer كما استخدم روبرت ميرتون R.Merton طريقة جماعات المناقشة المركزة. (بيبرياتريشيا، 2011، صفحة 232)

ومقابلات جماعات المناقشات المركزة لها ما يميزها لأن البيانات يتم توليدها في جماعة مكونة من الباحث والمبحوثين فهي عملية قائمة دينامية قائمة على التفاعل بين أفراد متعددين دينامية منتجة لحدث معين لا يمكن تكراره. (بيبرياتريشيا، 2011، صفحة 237)

حنان بونيف ، هجيرة بوساق

جدول (01) مقارنة بين الطرق الأساسية للبحث الكيفي حسب كرسطين وجونسون

البعد	الفينومينولوجيا	الإثنوجرافيا	دراسة الحالة	النظرية المتأسسة
غرض البحث	وصف خبرات فرد أو أكثر مع ظاهرة معينة	وصف الخصائص الثقافية لمجموعة من الأفراد	وصف حالة أو أكثر بشكل متعمق بما يجيب عن أسئلة وقضايا البحث	تكوين نظرية بصورة استقرائية تصف وتشرح ظاهرة معينة
الجذور	الفلسفة	الأنثروبولوجي	جذور متعددة التخصصات تتضمن التجارة والقانون والعلوم الاجتماعية والتربية.	علم الاجتماع
أدوات جمع البيانات الأساسية	الاعتماد على المقابلات المتعمقة مع عينة تتراوح ما بين 10-15 فرد	الملاحظة والمشاركة عبر فترة طويلة من الزمن (قد تصل إلى عام) والمقابلات مع المفحوصين	يتم استخدام طرق متعددة مثل الملاحظة والمقابلة والوثائق	المقابلة مع عينة قوامها من 20-30 ويتم استخدام الملاحظة أيضا بصورة متكررة
تحليل البيانات	تحديد العبارات الأكثر أهمية وتحديد معاني العبارات وتحديد جوهر الظاهرة	الوصف الشمولي والبحث عن الموضوعات الثقافية في البيانات	الوصف الشمولي والبحث عن الموضوعات التي تلقي الضوء على الحالة. ويمكن استخدام التحليل عبر الحالات	البدء بالوصف الأولي ثم الوصف المحوري وينتهي بالوصف الاختياري
كتابة التقرير	الوصف الثري للعناصر المشتركة بين خبرات المشاركين أو جوهر هذه الخبرات	الوصف الثري للسياق والموضوعات الثقافية.	الوصف الثري للسياق ولأفعال الحالة أو الحالات ومناقشة القضايا والموضوعات والمضامين	وصف الموضوع والأفراد قيد الدراسة. وينتهي تقرير الدراسة بعرض النظرية التي تأسست من خلال البحث

(غانم، 2016، صفحة 187، 188)

المنهج الظاهراتي وتطبيقاته في الدراسات السوسولوجية

9-5- طرق تخزين البيانات: من الخطوات التي تصاحب عملية جمع البيانات عملية تخزين هذه البيانات، ويتم تخزين البيانات الناجمة عن المقابلات بطرق أساسية منها: التجيل الصوتي لهذه المقابلات، والتسجيل من خلال المذكرات الميدانية، بعد استئذان المشارك وإعطاء كل مقابلة رمز معين. (زيتون، 2006، صفحة 206)

10-5- تحديد معنى البيانات: ويتضمن البحث والتحري في مكونات الظاهرة مع الاحتفاظ بالسياق الكلي، وتختلف طرق تحديد معنى البيانات على حسب طبيعة المشاركين فدراسة تتضمن مشارك يختلف عن تحليل البيانات في دراسة تتضمن مجموعة من الأفراد، أيضا تحليل بيانات المقابلات تختلف عن طرق تحليل الوثائق والملاحظة. (زيتون، 2006، صفحة 206)

تنطوي خطوات تحديد معنى البيانات في البحوث الظاهراتية حسب "تكانو" في الخطوات التالية: (زيتون، 2006، صفحة 207)

– "يقراً الباحث نسخ المقابلات لفهم خبرات المشاركين من خلالها، وهذه العملية تسعى لوصف البحث لما يفكر فيه المشاركين من خلال المعاني التي يستخلصها الباحث من اللغة المكتوبة.

– يراجع الباحث نسخ المقابلات لاستخراج العبارات والجمل المرتبطة بالظاهرة قيد الدراسة. والهدف من هذه الخطوة استخلاص وحدات المعنى من بين هذه الجمل.

– يتم تحويل وحدات المعنى إلى لغة الباحث، ويتم استخراج الموضوعات الأساسية لخبرات المشاركين من بين الجمل والعبارات ووحدات المعنى التي تم تحويلها إلى لغة الباحث.

— تنظم هذه المعاني في مجموعات (عناقيد) من الموضوعات المرتبطة، وبعد ذلك يقوم الباحث بمقارنة مجموعات الموضوعات، ويتم تحديد الموضوعات المحورية والفئات التي تندرج تحتها.

— يتم تنظيم جميع النتائج في صورة وصف شامل.

— الخطوة الأخيرة تتمثل في اختبار مدى صدق التفسيرات."

5-11- عرض نتائج الدراسة وكتابة التقرير: يعرض الباحث النتائج في جزء خاص بالنتائج ويكون منفصلا عن مناقشة النتائج ومضامين النتائج، ويفضل أن يقوم الباحث بعرض ملخص لنتائج الدراسة، ويعرض النتائج وفقا للموضوعات والقضايا الأساسية التي أظهرتها المقابلات مع المشاركين، ويتضمن تقرير الدراسة في البحوث الفينومينولوجية توصيفا مفصلا لخبرات المشاركين ويركز الباحث على جوهر هذه الخبرات والمعاني المشتركة بين المشاركين مع تضمين نصوص من المقابلات لتدعيم التفسيرات. أما في الجزء الخاص بالمناقشة فيقدم الباحث تفسيرات النتائج، ويربط بين نتائج الدراسة الحالية ونتائج الدراسات السابقة والخبرة. (زيتون، 2006، صفحة 211)

6- الاعتبارات الأخلاقية في البحث الظاهراتي: تحتل الاعتبارات الأخلاقية في البحوث الكيفية بشكل عام أهمية خاصة نظرا للتعامل مع الأفراد عن قرب والدخول في تفاصيل حياتهم الشخصية، وفي هذا السياق وضع "كريزويل cresweel بعض من القضايا الأخلاقية التي يمكن أن يواجهها الباحث، من بين هذه القضايا:

إجراءات الموافقة الطوعية على المشاركة في البحث، وحماية خصوصية وسرية بيانات المشاركين وتخزينها بشكل مناسب، وفوائد البحث في مقابل مخاطره.(غانم، 2016، صفحة 200)

يمكن الوصول في الأخير أن المنهج الظاهراتي أو الظاهري يعتبر أحد المناهج ذات الجذور الفلسفية، إلا أنه يعتبر أحد المناهج الهامة ضمن البحوث الكيفية وبالإمكان تطبيقه في البحوث السوسولوجية من أجل الوصول إلى المعاني الحقيقية والوصول إلى جوهر الخبرة المعاشة لدى الأفراد وذلك بالتقيد بخطواته المنهجية وإجراءاته، واستخدام أدوات جمع البيانات متمثلة في المقابلة بنوعها سواء المتعمقة أو جماعات المناقشة المركزة التي تتيح للباحث جمع بيانات كثيرة حول موضوع دراسته يعمل على تخزينها ثم تحديد معنى هذه البيانات لتحقيق أهداف الدراسة، ومن خلال هذه الورقة البحثية فالمنهج الكيفية ضرورة لا غنى عنها للبحث مما استوجب من الباحثين إعلاء قيمتها وتطبيقها في دراساتهم السوسولوجية ما يعتبر منحي بديلا عن المناهج الكمية التي تحتل المرتبة الأولى في العلوم الاجتماعية بشكل عام في الجزائر. ويمكن اقتراح مايلي:

- التوجه نحو البحوث النوعية التي تتيح الفهم التعمقي للظواهر الاجتماعية.
- المقاربة الفهمية للمناهج النوعية المختلفة وتطبيقاتها العملية مثل المنهج الإثنوميثودولوجي .
- التدريب على أدوات جمع البيانات النوعية تصميما وتنفيذا.
- إعلاء قيمة البحوث النوعية وعدم التركيز على النظرة الأحادية من خلال اعتماد البحوث الكمية على صعيد البحث العلمي.

8- قائمة المراجع:

- احمد أوزي. (1993). *تحليل المضمون ومنهجية البحث*. الرباط ، المغرب: الشركة العربية للطباعة والنشر.
- احمد زايد. (1984). *علم الاجتماع، النظريات الكلاسيكية و النقدية*. دار الكتب المصرية.
- ألان سوينجوود. (1996). *تاريخ النظرية في علم الاجتماع*. الاسكندرية: دار المعرفة الجامعية.
- الهاشي عبد الرحمن، محمد على عطية. (2011). *تحليل مضمون المناهج المدرسية*. (ط1، المحرر) عمان، الاردن: دار صفاء للطباعة والنشر.
- جاك هارمان. (2010). *خطابات علم الاجتماع في النظرية الاجتماعية*. (ط1، المحرر) عمان ، الاردن: دار الميسرة.
- جوناثان تيرنر. (2000). *بناء نظرية علم الاجتماع*. (ط2، المحرر) الاسكندرية: منشأة المعارف.
- خالد حامد. (2012). *منهجية البحث في العلوم الاجتماعية والانسانية*. (ط2، المحرر) المحمدية، الجزائر: جسور للنشر والتوزيع.
- رشيد زرواتي. (2007). *مناهج وأدوات البحث العلمي ومعالجة بياناتها الكترونيا*. (ط2، المحرر) عين مليلة، الجزائر: دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع.
- زايتلن ارفنج. (1989). *النظرية المعاصرة في علم الاجتماع ، دراسة نقدية*. الكويت: منشورات ذات السلاسل .
- صيام شحاتة. (2008). *النظرية الاجتماعية من المرحلة الكلاسيكية إلى ما بعد الحداثة*. (ط1، المحرر) القاهرة: مصر العربية للنشر والتوزيع.
- عامر مصباح. (2010). *علم الاجتماع ، الرواد والنظريات*. (ط1، المحرر) الجزائر: دار الامة للطباعة والنشر.
- عبيدات ذوقان ، سهيلة ابوالسميد. (2002). *البحث العلمي (البحث النوعي والبحث الكمي)*. (ط1، المحرر) دار الفكر للطباعة والنشر.

المنهج الظاهراتي وتطبيقاته في الدراسات السوسولوجية

- عصام جمال سليم غانم. (يناير ، 2016). تطبيقات منهجية البحث
الفينومينولوجية في بحوث الادارة التعليمية. (العدد 167، الجزء الثاني، المحرر)
مجلة كلية التربية . تم الاسترداد من <http://jsvep.journals.ekb.eg/article>
- عليان ربحي مصطفى ، عثمانمحمد غنيم. (2000). مناهج وأساليب البحث العلمي
، النظرية والتطبيق. (ط1، المحرر) عمان ، الاردن: دار صفاء للنشر والتوزيع.
فادية عمر الجولاني. (2009). الظاهرية والنماذج النظرية في العلوم الاجتماعية ،
موسوعة العلوم الاجتماعية. (كتاب رقم4، المحرر) الاسكندرية: المكتبة المصرية
للطباعة والنشر والتوزيع.
- كمال عبد الحميد زيتون. (2006). تصميم البحوث الكيفية ومعالجة بياناتها
الالكترونية. (ط1، المحرر) القاهرة: عالم الكتب. تم الاسترداد من
<http://arabpsy.chology.com>
- محمد برو. (2014). الموجه في منهجية العلوم الاجتماعية. تيزي وزو: الامل
للطباعة و النشر والتوزيع.
- مليزغوفري، ايراسين بيتر. (2012). البحث التربوي ، كفايات التحليل والتطبيقات.
(ط1، المحرر) عمان، الاردن: دار الفكر.
- هس شارلين، ليفي بيبرياتريشيا. (2011). البحوث الكيفية في العلوم الاجتماعية ،
سلسلة العلوم الاجتماعية للباحثين. (ط1، المحرر) القاهرة: المركز القومي
للترجمة. تم الاسترداد من <http://books4arabs.com/B2/BA-877.pdf>
- ياس خضير البياتي. (2002). النظرية الاجتماعية ، جذورها التاريخية ورواها.
بنغازي ، ليبيا: دار الكتب الوطنية.